بلا دعوة

منى الفولي

هرولت للداخل غير مبالية بذلك الذى يعلو صـــوته خلفها، تحاول الوصـــول لمكان تجمع المدعوين بأقصى سرعة للاندماج بينهم، لا تصـــدق أنها تجرأت وأقدمت على تلك الفعلة، هي لم تخطط لهذا الأمر لقد ظنت أنها ســتســتطيع إقناع فرد الأمن بضرـورة مقابلتها لرب المنزل أو أحد ولديه، ولكن لدى وصولها لباب القصر فوجئت بوجود حفل فخم وأن دخولها يســـتوجب وجود دعوة لا تملكها بالطبع، ولم يستجب فرد الأمن لتوسلاتها وزعمها بخطورة الأمر لذا استغلت انشغاله بمحادثة أحد المدعوين ومطالعة دعوته لتتسلل للداخل غير مبالية بندائه بعد انتباهه لفعلتها.

هدأت خطواتها حين اقتربت من تجمع المدعوين واختارت جانبا قصـيا تتوارى به كي لا تلفت الأنظار ببســاطة مظهرها مقارنة بباقي المدعوين، جلسـت تلتقط أنفاسـها وهي تحاول التركيز لعلها تلتقط إشارة تعرف منها من منهم هدفها المنشود، فالبرغم من عملها لأكثر من عامين بشرـكة الســيد حاتم إلا أنها لم يســبق لها رؤيته حيث يعيش بالخارج هو وأسرته مكتفين بمتابعة الأعمال من وقت لأخر مع وكلاؤهم بمصر، انتفضت بعنف على ذلك الصوت المحتد رغم خفوته الذي جاء من خلفها لتلتفت لترى ذلك الشـاب الوسـيم ذو الحلة الرسمية شديدة الفخامة.

الشاب بحدة: من فضلك اتبعيني بهدوء.

رانيا: أرجوك، أعلم أن تصرفي غير سليم، ولكن يجب أن أرى السيد حاتم لأمر هام.

الشـاب وقد ارتفعت نبرة صـوته قليلا: من فضـلك سـيدتي، أنت ستتسببين في إيذاء الشاب الذي غافلتيه، ولا أظن أنه سيرضيك أن يصرف من عمله بسببك.

رانيا بندم: كلا بالتأكيد سـيدي، ولكن أنا أيضـا سـأصرف من عملي وقد أسـجن أيضـا إن لم أقابل السـيد حاتم في أقرب وقت، - لم تحتمل أعصـابها أكثر من ذلك فانهمرت دموعها وقالت من بين نحيبها- أنا أعمل بفرع شركته هنا وكل ذنبي أنني لم أرضى بالخطأ، وحاولت كشـف فسـادهم لأجد نفسيـ متهمة بالفسـاد ومهددة بالسجن، كل ذلك لأنني بلا سند، فهل يرضيك أنت هذا.

لان لها وقد تأثر ببكائها وأسره جمالها الحزين: بالطبع لا يرضـيني ولكن صـدقا فإن وجودك هنا لن يحل مشـكلتك بل قد يغضـب السيد حاتم جدا؛ فهذه الحفل أقيمت على شرف شخصية هامة لن يرضى السـيد حاتم أن تعلم تلك الشـخصـية بوجود تجاوزات بشركته، لذا فلتنصرفي الأن بهدوء ولنتقابل غدا، وأعدك أن أقوم بمسـاعدتك حتى تظهرين براءتك، وأنت من الأن لن تكوني وحدك أمام هؤلاء الفسدة.

اسـتشـعرت الرجولة والصـدق بكلماته فاطمئن قلبها، ابتسـمت ابتسامة خلابة وهي تقول: شكرا لك سيد..

رد بشرود وهو غارق بابتسامتها: أحمد، أسمي أحمد أنسة..

رانيا بابتسامة: رانيا صبري، آسفة على اقتحام الحفل بهذه الطريقة وأرجوك ألا تصرف الشاب على البوابة أنا من غافلته ولا ذنب له.

أحمد بابتسامة: لا تقلقي اكتفيت بتوبيخه، ولكني الأن أود الذهاب والاعتذار منه، لكونه السبب لمعرفتي بك.

رانيا بخجل: شكرا لك سيدي.

قام بتوصيلها حتى باب القصر وأمر إحدى السيارات الفخمة بتوصيلها بعد أن تبادلا أرقام الهواتف ووعدها بالتواصل معها بأقرب وقت.

ركبت السيارة وأخبرت السائق بوجهتها، وسرحت بأحلامها، لا تصدق مع حدث معها رغم تمنيه وتخيله طيلة الوقت، فهي دائما كانت تقرأ الروايات هروبا من واقعها المؤلم وظروفها الصعبة، ولطالما أحبت تلك القصص التي تدور حول رجل الأعمال الشاب الذي يصطدم بالفتاة البسيطة بأول لقاء ثم يقع أسير هواها ويحارب الجميع ليفوز بقلبها منتشلا إياها من ظروفها لتصبح بين ليلة وضحاها من الطبقة المخملية، وكم تمنت أن تكون إحدى هؤلاء البطلات، ولكنها كانت تردع أحلامها دائما فالحقيقة مختلفة، ولكن ها هو الحلم يتحقق، هي تعلم أن لدى السيد حاتم ولدان هما أحمد ومحمود وقد سمعت كثيرا عن نزواتهم وسوء خلقهم، ولكنها الأن تأكدت أن الأمر لا يتعدى الحقد والحسد والاشاعات، فهي لاحظت دماثة أخلاقه وإنسانيته كما لم تغفل عن إعجابه بها الجلي بعينيه، لذا ستترك الأمور تأخذ مجراها حتى تنسج رواية جديدة تكون هي بطلتها هذه المرة.

في الصباح الباكر فوجئت باتصاله يدعوها لمقابلته بأحد الأماكن العامة، استعدت وذهبت بالموعد لتجده بانتظارها بملابس

مهندمة ومتناسقة ولكنها بسيطة تتنافى مع ملابسه بالأمس، كما فوجئت ببساطة المكان الذي دعاها إليه، ولكنها أرجعت الأمر لإحساسه المرهف الذي جعله يتباسط معها ويحاول مسايرة ظروفها حتى لا تصدم بالفروق بينهما من البداية، بعد جلوسهما وتناول العصير اللذيذ الذي طلبه لها حضر شاب عرفها عليه أحمد قائلا: سامح جاري وأقرب أصدقائي وأثق به ثقة عمياء.

طلب منها أحمد قص مشكلتها عليه بالكامل ليستطيع مساعدتها بحكم عمله كوكيل نيابة.

قصت المشكلة على صديقه بالكامل وكيف أن المدير المالي ومساعديه استغلوا الإقامة الدائمة للسيد حاتم وولديه بالخارج وأنهما لا يعودان إلا لشهر واحد كل عام؛ ليقوموا باستيراد أغذية فاسدة وترويجها لحسابهم الخاص، وأنها وبسبب غلطة غير مقصودة منهم استطاعت كشف هذا التلاعب، وقامت بمواجهتهم فما كان منهم إلا الحصول على إمضاءها بغفلة منها على بعض الأوراق المخالفة وقاموا بتهديدها وتخييرها بين أن تنضم إليهم أو يتم الإبلاغ عنها وزجها بالسجن، وعندما علمت بقدوم السيد حاتم وولديه لمصر لمدة محدودة حاولت مقابلة السيد حاتم وإخباره بالأمر فلم تستطع ولكن رحمة الله هدتها لمقابلة السيد أحمد ليصدقها ويساعدها.

قامت رانيا بتنفيذ تعليمات صديق أحمد حرفيا وتظاهرت بالموافقة على الاشتراك معهم بعملياتهم المشبوهة وقامت بمقابلتهم بأماكن عامة، ورغم كون تلك المقابلات تحت أعين الشرطة إلا أن أحمد

كان يصر أن يتواجد بنفسه على مقربة منها مما كان يشعرها بالأمان ويقرب بين قلوبهم.

وفي اليوم الأخير للخطة تم القبض على المدير المالي ومعاونيه بعد تسجيل مساومتهم لها على التلاعب بتواريخ انتاج بعض المواد الغذائية، لتزفر رانيا براحة بعد انتهاء مشكلتها، لتجد أحمد ينضم إليها على الطاولة بابتسامة، فأرادت أن تكون صريحة وتخبره بكل ظروفها قبل مصارحته لها بمشاعره الجلية بعينيه حتى لا تكن تخدعه، فقالت بتردد: حقيقة لا أعرف كيف أشكرك على كل ما قمت به من أجلي، كنت خائفة فأنا ضعيفة ليس لدي ما أجابههم به، كما لا يمكنني ترك العمل فأبي موظف بسيط بالمعاش وأمي ربة منزل وراتبي بند هام بميزانية منزلي لم أكن أستطيع الاستغناء عنه.

ابتسم لها بتفهم وهو يقول بحب: بارك الله لك بوالديك، أنا أكثر من يشعر بإحساسك، فقد حرمت منهما منذ صغري وأعلم أنهما لا يعوضان.

هنا بدأت رانيا تضيق عينيها باستفهام، في حين أكمل أحمد: رغم وجود القلوب النقية حولي، فالعم سيد ذلك السائق الذي أوصلك يوم الحفل هو من ربياني كأبنه سالم وبالمناسبة هو ذلك الشاب الذي غافلتيه وكدت تتسببين بطرده إن انتبه لك أحدهم ولكنه استنجد بي، واستطعت احتواء الأمر دون أن ينتبه أحد، وبحكم عملي كنادل تمكنت من التجول بين الطاولات بحثا عن مواصفاتك حتى وجدتك، فهو أخي وصديق طفولتي، لولاه هو ووالده لم أكن أعرف مصيري، فوالده هو من ألحقني بالعمل بذلك الفندق الفخم

الذي يتولى تنظيم معظم الحفلات الفخمة لعلية القوم، وسالم هو من شـــجعني للالتحاق بكلية الســـياحة والفنادق، حتى أســـتطيع التقدم بعملي وأنتقل للعمل بالإدارة يوما ما.

بهتت عندما استمعت لكلماته التي كسرت حلمها بلحظات، لتظهر الحقيقة أمامها جلية فهو مجرد شاب بسيط مثلها يحاول انتشال نفسه من أنياب الفقر، ليس ذلك الثري الذي ظنته سينتشلها هي، وأيقنت أن مظهره البسيط نابع من ظروفه، وليس تباسطا معها كما ظنت.

انتزعها من أفكارها بصـــوته وهو يقول بحب: كنت أعتقد أن ظروفي لا تسمح لي برفاهية كالحب حتى اقتحمت أحدهن حياتي بلا دعوة، ليفتح لها قلبي أبوابه على مصرـــاعيه، وأتمنى أن تدخل إليه زوجة وحبيبة.

انتفضت عند هذه الجملة فالحوار قد اتخذ اتجاه لا يناسبها، هي لا تنكر إعجابها به ولكن لن تســـمح لهذا الأعجاب أن يجعلها تنســـاق وراء قصة قد نسجت بخيوط الفشل، فكيف تقترن بمن هو بنفس ظروفها أو ربما أسوء وهي التي ظلت تنتظر فارسها المنقذ، انتفضت واقفة قائلة بحدة لم تتعمدها: أنا آســـفة، يجب أن أنصرـــف الأن، فمنذ انصرـــاف الشرـــطة ونحن نتحدث، بينما يجب أن أتبعهم لمتابعة سير التحقيقات.

أحمد بتوتر: بالتأكيد ســـنعلم بســـير التحقيقات، بالتأكيد ســـامح ســـيبلغنا بها أولا بأول، وأنا لم أنهي حديثي معك بعد، فلدي ما أود أخبارك به.

رانيا بانفعال: آسفة أحمد، لست بمزاج يسمح لي بسماع أي شيء الأن، لنتحدث لاحقا -بعجالة- إلى اللقاء.

أحمد بحزن وهو يراقب انصرافها السريع: وداعا.

****

في الشركة

استدعيت رانيا لمقابلة السيد حاتم وسط دهشة العاملين بالشركة، دلفت لمكتبه بتردد، لتجده يجلس بصحبة شابين يبدو على مظهرهما الثراء.

حاتم بغضب: هل تعلمين ما كدت أن تتسببي به لنا من خسائر.

رانيا بصدمة: سيدي، أنا قد كشفت فساد كان يتلاعب بغذاء الناس.

أحد الشابين بميوعة ساخرا: وهل هؤلاء الناس يؤثر بمعدتهم هذا الهراء، هم كانوا يتلاعبون بغذاء شعبي، وهؤلاء يتناولون ما هو أسوء ولا يبدو عليهم أي تأثر.

حاتم بحدة: أنتظر أنت أحمد، استمعي إلي يا فتاة، ما نجاك مني هذه المرة هو موقف وكيل النيابة الذي استعنتي به، فهو قد أحسن تكتم الأمر، ومنع النشر بالقضية، وجعل الأمر يبدو وكأنهم قاموا باختلاس أموال الشركة، وهذا ما شفع لك لأتركك بعملك، شرط ألا تتدخلي فيما لا يعنيك مرة أخرى.

الشاب الأخر وهو يتفحصها بوقاحة: الحقيقة لديها الكثير من الإمكانيات التي تشفع لها غير ذلك.

أحمد حاتم بوقاحة وهو يتفحصـها بدوره: لديك حق محمود، رانيا إن لم تكوني مرتاحة بعملك هنا فيمكنني إلحاقك بطقم معاوني الخاص -بهمس جريء- الخاص جدا.

حاتم بغضـب: كفّا عن هذا يجب أن نعود بعد أن اضـطرتنا تلك المتهورة للعودة بهذه السرعة، فلتنصرفي الأن ولا تنسي ما قولته لك.

خرجت مهرولة وهي لا تصـدق رد فعلهم علي صـنيعها، وجدت نفسـها بشـكل لا إرادي تقارن بين أبناء حاتم أشـباه الرجال، ورجولة أحمد الذي حماها ودافع عنها دون مصـلحة، لمجرد أنها قد طلبت منه ذلك، بين نظراتهم اللاهية ونظراته الحانية، ووجدت نفسـها تشتاق إليه وإلى مساندته، شعرت بالندم على معاملتها له بمقابلتهم الأخيرة ونفورها منه بمجرد أن علمت بحقيقة ظروفه، وأيضـا تجاهلها لاتصالاته بعدها حتى كف عنها بعدما وصلته رسالة تهربها من مقابلته، احترق قلبها وهي تتذكر نظراته الحزينة لها وهي خارجة من مبنى النيابة بعد أخذ أقوالها، حيث وجدته يقف متواريا حتى لا تراه فتظاهرت بهذا بعدما استنتجت بأن سامح هو من أخبره بموعد حضورها فأتى ليراها من بعيد.

****

بعد عدة أسابيع بحفلة صاخبة بأحد القصور الفخمة، توتر أحمد الذي يقدم المشروبات للمدعوين وهو يرى اشارات سالم الخفية المسـتدعية له، انتهى من توزيع ما يحمل وذهب إليه بعيدا عن أنظار المشرف على عمله.

أحمد بضيق: ماذا تريد سالم، ستتسبب بطردنا سويا يوما ما.

سالم بتوتر: انجدني أحمد، هناك سيدة حاولت الدخول بلا دعوة ورغم منعي لها تمكنت من مغافلت والدخول أثناء انشغالي.

أحمد بانفعال: ثانية، هل جننت، لما لا تنتبه لعملك.

سالم برجاء: أرجوك أحمد وبخني فيما بعد كيفما شئت ولكن الأن ساعدني أرجوك، لقد ذهبت بهذا الاتجاه القصيـ بعيدا عن المدعوين وهي ترتدي فستان سهرة بسيط ومحتشم باللون الفضي.

زفر أحمد بضيق ونفاذ صبر وتركه وذهب للاتجاه الذي أشار إليه، ليجد فتاة بالمواصفات المنشودة تقف وهي تنظر للاتجاه الأخر، نظر لظهرها واقتحمت الذكرى قلبه؛ فمازالت تؤلمه الذكرى القريبة، حاول السيطرة على مشاعره وهو يقول بحزم وخفوت: سيدتي، من فضلك اتبعيني بهدوء.

صدم عندما التفتت لتطالعه ابتسامتها الحبيبة وهي تقول: بالطبع سأتبعك، فلطالما كنت بأمان معك.
انتابته مشاعر مختلطة، حب جم يكنه لها، وسعادة لرؤيتها، ولهفة للاقتراب واحتواءها، وغضب من تجاهلها له الفترة الأخيرة، وخذلان طعنه بقلبه لإحساسه لرفضها لحبه حين أوشك على البوح به، تملكه شعوره الأخير فقال بمرارة ولوم: هل أعجبك الأمر فاحترفت التسلل للحفلات بلا دعوة، أم أن هناك ما يهددك فتذكرتني؟
قالت بندم واعتذار: لا تقلق ليس لدث أي مشاكل، بل وضعي قد تحسن كثيرا بعملي، فاستدعاء السيد حاتم لي بمكتبه جعل الجميع

يحترمني خوفا من أن أكون على علاقة به ولا يعلم أي منهم أنه إنما استدعاني ليوبخني.

قال بغضب: ولم يوبخك، أهذا شكره لك لكشف الفساد بشركته، لا تجعلي أحد يمس كرامتك لأي سبب، حتى لو اضطررت لترك العمل، ولا تقلقي فعلاقتي جيدة بجميع العاملين بالفندق ويمكنني أن أجد لك عملا بقسم المحاسبة هناك.

شعرت بالسعادة لاهتمامه بأمرها وثورته من أجل كرامتها، كما شعرت بالندم لعدم تقديره حق قدره منذ البداية، واقتناعها بمعايير فاسدة لتقييم البشر..كادت أن تضييع عليها هذا المثال الحي للرجولة.

رانيا بابتسامة: لا تقلق، فقد سافر هو وولديه بعدها بلحظات ولن يعودا قبل عام على الأقل.

أحمد بفضول: إذا لم شرفتني بالحضور؟

رانيا: كما قلت لقد أعجبني التسلل بلا دعوة، ليس للحفلات ولكن لقلب أحدهم، كان يعتقد أن ظروفه لا تسمح له برفاهية كالحب حتى اقتحمت حياته بلا دعوة، ففتح لي قلبه أبوابه على مصراعيه، ودعاني أن أدخل إليه زوجة وحبيبة.
أحمد بألم: ولكن سبق وأن رفضتي دعوته.
رانيا بخجل واعتذار: كنت مخطئة، كان لدي أفكاري الخاصة التي صدمتني بعرضك، ولكنني الأن على يقين أن قلبي قد قبل دعوته قبل أن أجيب أنا، وأتمنى أن يكون قد شعر بهذا، ولا يكون قد سحب دعوته.

أحمد بحب: القلب المخلص يقدم دعوته مرة واحدة، ولا يسحبها أبدا -بابتسامة- إذا اتبعيني سيدتي فأنا لا أنوي أن أفقد وظيفتي وأنا أخطط لبناء حياة جديدة.

تبعته رانيا بابتسامة ليقابلا سالم الذي ابتسم لصديقه بحب وهو يهمس له: أنت مدين لي بأن يكون أول أبناءكم أسمه سالم، فبخطئي الأول تعارفتما، وبخطتي الأن تصافيتما.

أحمد بدهشة: خطتك! كيف؟

سالم بابتسامة: جاءت اليوم للفندق للبحث عنك وأنا من طلبت منها أن تأتي هنا، فللذكرى حنين يلين قلبك العنيد.

أحمد وهو يلكزه بسعادة: اتضح أنك خبير بأسرار القلوب يا صديقي.

سالم بحب: عد أنت الأن لعملك، حتى لا تطرد منه بدلا أن تطرد من حياة العزوبية، وأنا سأخبر والدي أن يوصلها حتى بيتها.

أحمد بود: شكرا لك سالم -نظر لها بحب- اذهبي أنت الأن مع العم سيد، وسأنتظر الغد بشوق لمقابلة والدك.

رانيا بخجل: إلى الغد.

أحمد بسعادة وحب: إلى الغد يا غدي.

تمت بحمد الله